

## تمهيد

حيث أن البحث الذي بين أيدينا يتناول قضية النسخ ، أى أنه يتناول العلاقة الموجودة بين الشريعة السابقة والشريعة اللاحقة ، وحيث أن الشريعة هى الدين الذى شرعه الله لعباده ، وأن الدين عند الله الإسلام ، وحيث أن هناك خلافات بين مؤيدى النسخ وبين معارضيه ، ولكى نستبين حقيقة هذا الموضوع ، علينا أن نتعرف على بعض الكلمات التى هى أساسيات الدين ، مثل : الدين ، الإسلام ، العبادة ، الشريعة ، العقيدة .

### ما هو الدين

[سُئِلَ بعض السلف عن عليّ بن أبى طالب ، عليه السلام ، فقال : كان دِيَانُ هذه الأمة بعد نبِيِّها : أى قاضيتها وحاكمها .

والدِيَانُ : القهار ، وقيل الحاكم والقاضى ، وهو فَعَالٌ ، من دان الناس : أى قهرهم على الطاعة .

يقال : دنتهم فدانوا ، أى قهرتهم فأطاعوا .

وقال ابن الأعرابى : دنتُ وأنا أدين : إذا أخذت دِيَاناً .

والدين : الجزاء والمكافأة ، ودِنْتُهُ بفعله دِيَاناً : جزِيْتُهُ .

وفى المثل : اعمل ما شئت كما تدين تُدان ، أى كما تُجَازَى تُجَازَى ، أى تجَازَى بفعلك ، وبحسب ما عملت ، وقيل كما تفعل ، يُفعل بك .

وقوله تعالى : (إننا لمدينون) أى مجزيون محاسبون .

وفى حديث سلمان : إن الله ليدين للجماء من ذات القرن : أى يقتص ويجزى .

والدين : الجزاء ، والدين الحساب ، ومنه قوله تعالى (مالك يوم الدين) والدين : الإسلام ، والدين : ما يتدين به الرجل <sup>(١)</sup> .

(١) لسان العرب ، مادة : دين .

ومما سبق يتبين لنا أن الدين هو مجموعة القواعد والقوانين التي تكوّن المعيار أو الميزان الذى به يتعامل الناس فيما بينهم فى الأخذ والعطاء والحكم والقضاء . أى أن الدين هو القاضى أو الحاكم الذى يحكم بين الناس والقاضى الذى يقضى بينهم فى أخذهم وعطائهم بين بعضهم لكى يتحقق بينهم الحق والعدل .

وفى الحديث : الدين المعاملة . أى القضاء والجزاء والحساب فيما بين الناس من أخذ وعطاء .

إذاً ، الدين فى الإسلام هو مجموعة الشرائع التى شرعها الله لعباده لكى يتعاملوا بها ، فيتقاضون ويتحاكمون به فيما بينهم فى الدنيا ، وفى الآخرة يعودون إلى الله الديان فيقتص الله من الظالم للمظلوم ، ويقتص لذاته من المنحرفين الذين انحرفوا عن شريعته .

### ما هى العبادة

[العبادة : الطاعة

وفى قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ﴾ أى نطيع الطاعة التى يخضع معها .

ومعنى العبادة فى اللغة : الطاعة مع الخضوع<sup>(١)</sup> .

فالعبادة هى طاعة الخالق فى كل ما أمر به ، وفى كل ما نهى عنه .

ويقول ابن تيمية [العبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة . فالصلاة والزكاة والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين ، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الأدميين والبهائم ، والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة ، وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله ، والإنابة إليه ، وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضا بقضائه ، والتوكل عليه والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه ، وأمثال ذلك ، من العبادات لله]<sup>(٢)</sup> .

(١) لسان العرب ، مادة : عبد .

(٢) مفهوم العبودية فى الإسلام - ابن تيمية ص ١ .

فما هي العلاقة بين الدين وبين العبادة؟

وجدنا - فيما سبق - أن الدين هو مجموعة القواعد والقوانين التي تكوّن المعيار أو الميزان الذي يتعامل به الناس فيما بينهم في الأخذ والعطاء والحكم والقضاء . وأن الدين هو مجموعة الشرائع التي شرعها الله لعباده . فالعلاقة بين العبادة والدين ، أن العابد يكون مطيعاً خاضعاً لله ، آخذاً بدينه ، مُنفذاً لشريعته .

ما هي العقيدة

[العقيدة : نقيض الحلّ

والعقد : العهد : ومنه عقدة النكاح

وعقد العهد واليمين ، يعقدهما عقداً ، وعقدهما : أكدهما ، كقوله تعالى : (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) في الحلف .

وفي حديث ابن عباس ، في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) قيل :  
العهود، وقيل : هي الفرائض التي ألزموها .

قال الزجاج : (أوفوا بالعقود) خاطب الله المؤمنين بالوفاء بالعقود التي عقدها الله تعالى عليهم ، والعقود التي يعقدها بعضهم على بعض ، على ما يوجبه الدين<sup>(١)</sup> .

وفي الحديث (اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى ، وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت) أى وأنا على عهد الإسلام .

[والعقيدة : هي مجموعة من قضايا الحق البديهية المسلّمة بالعقل والسمع والظن ، يعقد عليها الإنسان قلبه ، ويشئ عليه صدره ، جازماً بصحتها ، قاطعاً بوجوبها وثبوتها]<sup>(٢)</sup> .

(١) لسان العرب ، مادة : عقد .

(٢) حقيقة الإيمان ح ١ - ص ٧ .

فالعقيدة ، هي ما يتعقد عليه قلب الإنسان معتقداً بصحته ، مؤمناً بحقانيته . [ولقد اتفق علماء المقابلة بين الأديان على تأصل العقيدة الدينية في طبائع بنى الإنسان من أقدم أزمنة التاريخ ، ففى الطبع الإنسانى جوع إلى الاعتقاد] <sup>(١)</sup> .

[وإن الأديان ضرورية للبشرية وفطرية بها . هذه حقيقة تاريخية وفكرية ودينية ايضاً ، فكل إنسان له دين ، والذين ينكرون الأديان ولا يؤمنون بأى دين منها ، ويحاربون كل الأديان ، لهم دين جديد ، هو ألا يكون لهم دين ، ذلك دينهم ، وتلك عقيدتهم التى يؤمنون بها] <sup>(٢)</sup> .

فالإنسان بطبيعته متدين . فالتدين فطرة أو غريزة فى الإنسان ، ويرجع ذلك إلى شعور الإنسان بالضعف تجاه هذا العالم العظيم المهول ، وكذلك يرجع التدين او الاعتقاد إلى المهول ما يراه الإنسان من وجوب اتخاذ مجموعة من المبادئ والاعتقادات تجاه قضايا حياتية تُحدد اتجاهه وتميزه عن باقى الإتجاهات . هذه المبادئ والاعتقادات هى محتويات العقيدة .

أما محتويات العقيدة فى الإسلام فإنها [تستجمل بإيجاز على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره] <sup>(٣)</sup> .

والعقيدة هى الجانب النظرى الذى يُطلب الإيمان به أولاً وقبل كل شىء إيماناً لا يرقى إليه شك ، ولا تؤثر فيه شبهة ...

وقد عبر القرآن عن العقيدة (بالإيمان) وعن الشريعة (بالعمل الصالح) ، وجاء ذلك فى كثير من آياته الصريحة مثل قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ (الكهف: ١٠٧) ، وقوله تعالى ﴿ وَالْعَصْرُ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ (العصر) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (الأحقاف: ١٣) .

(١) الله -عباس العقاد- ص ١٤-١٥ .

(٢) النصرانية والإسلام -محمد عزت الطهطاوى- ص ٣٠٧ .

(٣) حقيقة الإيمان - ص ٨ .

والعقيدة هي أساس العمل ومرتكزه ، فأى عمل لا يرتكز على عقيدة فهو عمل بلا أساس ، إذ أن النية تتجه إلى هذه العقيدة ، وعلى أساسها ينبثق العمل من القلب .

[فالعقيدة في الوضع الإسلامى هي الأصل الذى تبنى عليه الشريعة ، والشريعة أثر تتبعه العقيدة ، ومن ثم فلا وجود للشريعة في الإسلام إلا بوجود العقيدة ، كما لا اذدهار للشريعة إلا في ظل العقيدة ، وذلك أن الشريعة بدون العقيدة ، علوٌ ليس له أساس.]<sup>(١)</sup>

ما هي الشريعة ؟

في لسان العرب [شرعت الدواب في الماء ، تشرع شرعاً وشرعاً أى : دخلت .  
والشرعة والشريعة في كلام العرب : مَشْرَعَةُ الماء ، وهي مورد الشاربة التى يشرعها الناس ، يشربون منها ويستقون ... والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء عِدْداً لا انقطاع له ، ويكون ظاهراً معيناً .

والشريعة والشرعة ، وما سنَّ من الدين وأمر به كالصوم والصلاة والحج والزكاة ، وسائر أعمال البر ... ومنه قوله تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الأمر) وقوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) ، قيل في تفسيره : الشرعة : الدين ، والمنهاج : الطريق وقيل الشرعة والمنهاج جميعاً : الطريق والطريق ههنا : الدين .

وقال محمد بن يزيد : شرعة معناها إبتداء الطريق ، والمنهاج : الطريق المستقيم وقال ابن عباس : شرعة ومنهاجا : سبيلاً وسنةً .

وقال قتادة : شرعة ومنهاجاً : الدين واحد والشريعة مختلفة .

وقال الفراء في قوله تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الأمر) على دين وملة ومنهاج وشرع الدين ، يشرعه شرعاً : سنَّةً<sup>(٢)</sup> .

عما سبق يتبين لنا أن العرب لا تسمى الماء بالبشر بالشريعة ، إلا إذا كان الماء غزيراً ، لا انقطاع له ، ويكون ظاهراً سهل التناول .

(١) الإسلام عقيدة وشريعة . د . محمود شلتوت . ص ١١ .

(٢) لسان العرب ، مادة : شرع .

وإذا طبقنا هذا الوصف على شريعة الدين ، نجد أن المقصود منها أن تكون الشريعة غامرة لجميع نواحي الحياة ، ومجبية على جميع أسئلة واستفهامات الناس ، وكذلك أن تكون واضحة بيّنة سهلة التنفيذ عند الأخذ بها ، وهذا كما قال تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) ، وكما قال تعالى (وما جعل عليكم في الدين من حرج) .  
كما علينا أن نلاحظ مما سبق أيضاً ، أن الشريعة معناها ابتداء الطريق ، وإذا طبقنا هذا على الأعمال أو على الدين ، فتكون الشرعة هي ابتداء الأخذ بالدين أو ابتداء التشريع ، وليس تمامه أو كماله .

فالشريعة تأتي من الشروع في العمل ، كما أقول : شرعتُ في كتابة الكتاب أى ابتداء الكتابة ، وليس إتمام الكتابة . فهناك فرق بسيط بين الشرعة والشريعة .  
الشرعة هي ابتداء التشريع ، ابتداء الدين .  
والشريعة هي تمام التشريع وكماله .

وبهذا الفهم ، نستطيع أن نوفق بين قوله تعالى ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا ﴾ (المائدة: ٤٨) وبين قوله تعالى ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾ (الجنّة: ١٨) .

فالشرعة التي جعلها الله لكل أمة من الأمم السابقة ، لم تكن هي ختام الدين الذي أراده الله للناس ، وإنما كانت بدايات في التشريع . أما الشريعة فهي تمام الدين ، لذلك يقول تعالى ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (المائدة: ٣) .

فهل هناك فرق بين الدين وبين الشريعة ؟

إذا عدنا إلى سؤالنا : ما هو الدين ؟ وجدنا أن الدين في الإسلام هو مجموعة الشرائع التي شرعها الله لعباده لكي يتعاملوا بها فيتقاضون ويتحاكمون به فيما بينهم . فلا فرق بين الدين وبين الشريعة .

ما هو الإسلام ؟

في لسان العرب [سلم : السلام والسلامة : البراءة .

السلام : اسم الله تعالى لسلامته من العيب والنقص والإسلام والإستسلام : الإنقياد والإسلام من الشريعة : إظهار الخضوع وإظهار الشريعة والتزام ما أتى به النبي ﷺ .

ويقال : فلان مسلم ، وفيه قولان : أحدهما هو المستسلم لأمر الله ، والثاني هو المخلص لله العباد ، من قولهم سلم الشيء لفلان : أى خلصه ، وسلم له الشيء : أى خلص له .

وروى عن النبي ﷺ أنه قال : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، قال الأزهرى : فمعناه أنه دخل في باب السلامة حتى يسلم المؤمنون من بوائقه .

فالإسلام : إظهار الخضوع والقبول لما أتى به سيدنا رسول الله ﷺ وبه يُحَقَّن الدم . فإن كان مع ذلك الإظهار ، إعتقاد وتصديق بالقلب ، فذلك الإيمان ، الذى هذه صفته . فأما من أظهر قبول الشريعة ، واستسلم لدفع المكروه ، فهو فى الظاهر مسلم ، وباطنه غير مصدق فذلك الذى يقول أسلمت ، لأن الإيمان لا بد من أن يكون صاحبه صِدِّيقاً ، لأن الإيمان : التصديق . فالؤمن مبطن من التصديق مثل ما يظهر . والمسلم التام الإسلام ، مظهر للطاعة مؤمن بها . وقوله تعالى : (يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا) ، فسرهُ ثعلب قال : كل نبي بُعث بالإسلام ، غير أن الشرائع تختلف .  
وقوله عز وجل : (واجعلنا مسلمين لك) أراد مخلصين لك .

وقوله عز وجل : (أدخلوا فى السلم كافة) قال : عنى به الإسلام وشرائعه كلها<sup>(١)</sup> .  
فالإسلام معناه الخضوع والإنقياد للشريعة التى أتى بها محمد ﷺ .  
[والإسلام هو دين الله الذى أوصى بتعاليمه فى أصوله وشرائعه إلى النبي ﷺ وكلفه بتبليغه إلى الناس كافة ودعوتهم إليه]<sup>(٢)</sup> .

والإسلام يفيد معنى البراءة من الشرك ومن كل دين يخالفه ، وإخلاص العباد لله ، فالإسلام هو إسلام الوجه لله وحده ، والأخذ بشرائعه وحده فالإسلام يأخذ معانى الطهارة والخلوص أو الإخلاص والبراءة من كل شرك .

(١) لسان العرب - مادة : مسلم .

(٢) الإسلام عقيدة وشريعة - د محمود شلتوت ص ٧ .

فمن معانى البراءة والخلوص مما يشوب الدين ، قوله تعالى عن إبراهيم - عليه السلام - ﴿ فَلَمَّا رَأَى السَّمَاسَ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (الأنعام: ٧٨) .

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ (الزخرف: ٢٦) .

﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ (التوبة: ١١٤) .

ومما يدل على أن البراءة هي صفة الإسلام وأنه يبرأ من كل شرك أو شوب قوله تعالى ﴿ قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَهَيْبَكُمْ لِتَشْهَدُونَ أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ آخَرُ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (الأنعام) والإسلام يتبرأ من كل ملة من وضع البشر .

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ﴾ (آل عمران: ٦٧) والحنيفية هي البراءة والطهارة والخلوص من كل شرك ، هي باختصار : إسلام الوجه لله ، وإفراده بالإخلاص في العبودية .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ (النساء: ١٢٥) ، ﴿ وَأَنْ أَقْمَرُ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (يونس: ١٠٥) .

﴿ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ (البينة: ٥) . ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ (آل عمران: ١٩) . ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ (الزمر) . ووصى به إبراهيم ويعقوب أبناءهما إذ قالا لهم :

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٢) ولم يرتض الله غير الإسلام ديناً .

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (آل عمران: ١٩) . ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (آل عمران: ٨٥) .

فالإسلام هو الدين الذى يبرأ من كل شرك ويخلص من كل شوب ، فهو الخضوع التام والإنقياد الكامل لله والأخذ بشرائعه التى فرضها على الناس .  
وكانت دعوة الأنبياء منذ نوح عليه السلام وحتى خاتم الرسل ﷺ هى دعوة إلى الإسلام لله .

فعلى لسان نوح يقول القرآن ﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أُجِرْتُمْ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (نوح: ٧٢) .

وعلى لسان إبراهيم ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِربِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (البقرة: ١٣١) .

وعلى لسان يوسف ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (يوسف: ١٠١) .

وعلى لسان موسى ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَنْقُومُ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ (نوح: ٨٤) .

وعلى لسان سليمان ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣١﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (النمل: ٣١) .

وعلى لسان عيسى ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ حُنَّ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٥٢) .

وعلى لسان النبي ﷺ ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٠﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ (الأنعام) .

ما هي العلاقة بين الشرائع السابقة واللاحقة عليها ؟

ما هي العلاقة بين الشريعة السابقة وبين الشريعة اللاحقة ؟

هل هي علاقة تناقض أو اختلاف ؟ أم هي علاقة توافق وتكامل وتتام ؟

إذا ثبت أن العلاقة بين الشريعة السابقة وبين الشريعة اللاحقة هي علاقة تناقض أو

اختلاف ، عندئذ يثبت النسخ ويصح .

وإذا ثبت أن العلاقة هي علاقة اتلاف وتوافق وتكامل وتتام ، عندئذ لا يثبت النسخ

ولا تصح دعوى قائلها .

فهل الشرائع السابقة مخالفة لشريعة الإسلام ؟

يقول تعالى ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَأَوْحَيْنَا

إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ

وَسُلَيْمَانَ ۗ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٣١﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ

نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿٣٢﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ

لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٣٣﴾ (النساء) .

يقول الشوكاني [والمعنى : أن أمر محمد ﷺ كأمر من تقدمه من الأنبياء فما لكم (أيها

اليهود) تطلبون منه ما لم يطلبه أحد من المعاصرين للرسل .

والوحي : إعلام في خفاء ... وخص نوحاً لكونه أول نبي شرعت على لسانه

الشرائع ... والكاف في قوله (كما) نعت مصدر محذوف ، أي إجماع مثل إجماعتنا إلى

نوح] <sup>(١)</sup> .

والوحي في الآية ، ليس المقصود منه ، المثلية في عملية الإجماع فقط ، ولكنه المثلية في

مضمون الوحي كذلك ، مثل أفراد الله بالعبودية والأخذ بشرائعه . لأن عملية الوحي

ذاتها بدون مضمون للوحي ، هي عملية فارغة ليس منها فائدة ، وإنما كان الوحي وحيّاً

بشريعة ، فيكون المقصود : إنا أوحينا إليك شريعة مثل ما أوحينا إلى نوح والنبیین من

بعده ، شريعة تتفق مع ما أوحيناه للأنبياء من قبلك .

(١) فتح القدير - الشوكاني - ج١ - ص ٥٣٨ .

والذى يؤكد أن شرائع الله التى أوحى بها إلى الأنبياء من قبل محمد ﷺ هى شرائع ينبغى على الرسول أن يأخذ بها ، هو ما ذكره الله فى سورة الأنعام . فبعد أن ذكر الله أسماء كثير من الأنبياء وهدايتهم لهم وذريتهم قال سبحانه : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هُنَّ لِآءٍ فَقَدْ وُكِّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوْا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدِنُهُمْ آفْتِدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (الأنعام) .

فهذا دليل على وحدة الكتاب الذى أنزله الله على أنبيائه .

ودليل آخر على أن ما جاء به محمد ﷺ هو ما أنزله الله فى التوراة والإنجيل ، حيث يقول تعالى ﴿ قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ لِسْمِ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (المائدة : ٦٨) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (المائدة : ٦٨) عام فيما أنزله الله من قبل التوراة والإنجيل ، ومن بعدهما أيضاً وهو القرآن . وهذا يدل على التكامل والإتفاق بين الشرائع .

يقول الله تعالى ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ (الشورى : ١٣) .

وهذه الآية تؤكد ما فهمناه من الآيات السابقة بسورة (النساء : ١٦٣ - ١٦٥) ، وهو أن الوحى كان بشرائع متفقة مع ما جاء به محمد ، وأنه يوافقها ولا يخالفها أو يناقضها . ولم يقل الله (مثل ما وصى به نوحاً) ، ولكنه قال (ما وصى به نوحاً) لأن شريعة نوح ليست الشريعة التامة الكاملة ، ولكنها شريعة كانت فى بدايات التشريع .

أى أن ( ما وصى به نوحاً ) كله يُؤخذ ضمن الشريعة اللاحقة عليها ، فإذا كان الإسلام هو آخر الشرائع ، فيكون الإسلام هو الشريعة التامة الكاملة التى استوعبت الشرائع السابقة التى أنزلت على نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء والرسل .

إذاً ، العلاقة بين الشرائع السابقة وبين الشرائع اللاحقة ، هي علاقة تكامل وتوافق ، وليست علاقة إختلاف وتناقض ، وبالتالي فلا صحة للقول بنسخ الشرائع اللاحقة للشرائع السابقة .

قال ﷺ (مثل ومثل الأنبياء من قبلي ، كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلاًّ وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين) .

يقول الدكتور البوطي ، في فقه السيرة [أما دعوته ﷺ وعلاقتها بدعوات الأنبياء السابقين ، فقائمة على أساس التأكيد والتميم ، كما يدل عليه الحديث المذكور] ص ٣٧ . ويقول الشيخ محمد الخضري [إمتاز التشريع المكي بما يُعبّر عنه أبو اسحاق الشاطبي في (الموافقات) بالتشريع الكلي . وإنما سماه كذلك لأنه لم يتعرض فيه إلى تشريع أحكام جزئية خاصة بحال دون حال ، أو نوع دون نوع ، وكله من الشرائع الأبدية التي لا يخالف فيها دين ديناً ، ومن مصلحة العالم أجمع - فيما مضى وفيما هو آت - أن يكون متبعاً لها ، منقاداً لما جاء فيها ، ولذلك أطلق على ملته ﷺ في القرآن في سورة الحج ﴿ مَلَّةٌ أُنبِئَتْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَبِعَمِّ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ (الحج : ٧٨) وأعلن أنه جاء مصداقاً لمن سبقه من الأنبياء ، ... وقال له الله عنهم في سورة الأنعام ، بعد أن قص عليه أسماءهم : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنعام : ٩٠) (١) .

فالشرائع التي شرعها الله لعباده منذ تاريخ الإنسانية هي شرائع أبدية خالدة ، لا تخالف منها شريعة ، شريعة أخرى ، وهي صالحة للبشر في كل زمان ومكان .

(١) محاضرات تاريخ - الدولة الأموية ص ١٠٧ - ١٠٨ .

يقول دكتور موريس بوكاي [أما القرآن - وقد أتى بعد المسيح بقرون ستة - فإنه يتناول معطيات عديدة جاءت في التوراة العبرية والأنجيل ، ولذلك فهو يذكر التوراة والإنجيل كثيراً] <sup>(١)</sup>.

والتوراة تحكى لنا جانباً مما يتفق مع الشريعة الإسلامية ، فتقول لنوح - ~~عليه السلام~~ - بعد الطوفان [وبارك الله نوحاً وبنيه وقال لهم : أئتمروا وأكثرُوا واملأوا الأرض ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض وكل طيور السماء مع كل ما يدب على الأرض وكل أسماك البحر قد دفعت إلى أيديكم كل دابة حية تكون لكم طعاماً كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع غير أن لحماً بحياته دمه لا تأكلوه وأطلب أنا دمكم لأنفسكم فقط . من يد كل حيوان أطلبه . ومن يد الإنسان أطلب نفس الإنسان . من يد الإنسان أخيه سافك دم الإنسان يُسفك دمه] الأصحاح التاسع .  
فالتوراة تقول (غير أن لحماً بحياته دمه لا تأكلوه) .

والقرآن يقول ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ ﴾ (البقرة: ١٧٣) .  
والتوراة تقول (ومن يد الإنسان أطلب نفس الإنسان . من يد الإنسان أخيه سافك دم الإنسان يُسفك دمه) .

والقرآن يقول ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ﴾  
(البقرة: ١٧٨) .

ويقول تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ (الأنعام: ١٥١) .  
وأما في الإنجيل ، فإن عيسى - ~~عليه السلام~~ - يقول : (ما جئت لأنقض الناموس بل لإكماله) .  
فالمسيح يقر ويعترف لبني إسرائيل ولغيرهم ، بأنه لم يأت لينقض الشرائع التي قبله ، بل لإحيائها والأخذ والعمل بها وإكمالها .

### وحدة الدين

تُبرز سورة الشورى حقيقة ضل فيها الناس بغياً وعدواناً ، فذهب فريق إلى إنكارها ، وذهب فريق آخر إلى الإيذان بها لبعض الرسل دون بعض . وتلك الحقيقة هي : أن الدين الذي أوحى الله به إلى محمد هو الدين الذي أوحى به إلى نوح وإلى إبراهيم وموسى

(١) دراسة الأديان في ضوء المعارف الحديثة - ص ٦٠ .

وعيسى ، ووصاهم بإقامته ودعوة الناس إليه وعدم التفرقة فيه ، وقامت فيه حجة كل رسول على قومه ، ولكن الناس كبر عليهم - حقداً وحسداً - أن يؤمنوا بتلك الحقيقة المتحدة ، فأنكروها أو فرقوها ، وزعموا أن الأديان تتعدد بتعدد الرسل ، وأن لكل دين أصولاً وأتباعاً ، وأخذوا - باسم الدين - يتحاربون ويتسافكون والدين منهم برئ ، والله من ورائهم محيط ، فدين الله واحد ، وإنكاره من أحد الأنبياء إنكار له من جميعهم<sup>(١)</sup> .

وقد عرض القرآن الكريم ، كثيراً من الآيات التي تقرر الوحدة الدينية وتقرر الإيمان بكل الرسل الذين أرسلهم الله ، والإيمان بالكتب التي أرسلوا بها ، يقول تعالى ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (الشورى: ١٣) يقول الشوكاني [الخطاب في قوله (شرع لكم من الدين) لأمة محمد ﷺ أى بيّن وأوضح لكم من الدين (ما وصى به نوحاً) من التوحيد ودين الإسلام وأصول الشرائع التي لم يختلف فيها الرسل ، وتوافقت عليها الكتب (والذي أوحينا إليك) من القرآن وشرائع الإسلام والبراءة من الشرك ... (وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى) مما تطابقت عليه الشرائع . ثم بيّن ما وصى به هؤلاء فقال (أن أقيموا الدين) أى توحيد الله والإيمان به وطاعة رسله وقبول شرائعه ... قال مقاتل : يعنى أنه شرع لكم ولمن قبلكم من الأنبياء ديناً واحداً ... (ولا تفرقوا فيه) أى لا تختلفوا في التوحيد والإيمان بالله وطاعة رسله وقبول شرائعه ، فإن هذه الأمور قد تطابقت عليها الشرائع وتوافقت فيها الأديان ، فلا ينبغى الخلاف في مثلها]<sup>(٢)</sup> .

ثم يقول تعالى ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ (الشورى: ١٤) أى : ما تفرقوا إلا عن علم بأن الفرقة ضلالة .

ثم يقول تعالى للرسول ﷺ بعد أن أخبره بأن ما أوحى إليه هو ما أوحى به إلى الرسل من قبله ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ ﴾ (الشورى: ١٥) .

(١) الإعلام في القرآن د. محمد عبد القادر حاتم - ص ٢٤٤ - ٤٥ .

(٢) فتح القدير - الشوكاني - ج ٤ ص ٥٣٠ .

أى ، فلاجل أنه شرع لكم من الدين ما شرع للأنبياء والرسل من قبلك (فلذلك فادع) إلى هذه الشرائع ، ( واستقم كما أمرت) على هذه الشرائع التي أقرها الكتاب (ولا تتبع أهوائهم) في تفرقهم في الكتاب ، وإيمانهم ببعض الكتاب وكفرهم ببعض (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) دليل على أن الكتاب واحد منذ أن بدأ التنزيل ينزل إلى الناس . فكلمة كتاب هنا كلمة مجردة وعامة تسرى على كل ما أنزله الله من كتاب على الأنبياء والرسل ويقول الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿١﴾ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (البقرة) .

ويقول الله تعالى ﴿ ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَنْ لَيْكِبِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ؕ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ؕ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة: ٢٨٥) .

فالمسلمون يؤمنون بما أنزل إليهم على محمد ، كما أنهم يؤمنون بما أنزل من قبل على الرسل والأنبياء السابقين ، ولا يفرقون بين الرسل ولا بين كتبهم ، فكلها من عند الله ما دامت سالمة من التحريف .

والله - سبحانه - يطلب من أهل الكتاب ومن غيرهم أن يؤمنوا بما أنزل على محمد ، لأنه لا يخالف ما أنزل على أنبيائهم ، بل إنه يوافقها ويصدق بها فيقول تعالى ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِني فَأَرْسِلُكُمْ ﴿١﴾ ءَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرِينَ بِهِ ؕ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيْمَانِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِني فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ (البقرة) .

ويقول لهم ولغيرهم ﴿ قُولُوا ءَأَمْنَا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن قَبْلِهِ وَآسَمِعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٦) .

وذلك لأن الكتاب الذى أنزله الله على جميع الأنبياء والرسل هو كتاب واحد ، فلا تفرق بين رسول ورسول ، أو بين رسالة ورسالة ، فالدين واحد ، لأن الكتاب الذى أنزله الله على رسله واحد ، مُنَزَّل من إله واحد هو إله الجميع .

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ

بَعِيدٍ ﴾ (البقرة: ١٧٦) .

فالكتاب الذى أنزل على جميع الرسل هو كتاب واحد ، لذلك فإن الذين يختلفون فيه ، إنما هم فى ضلال وفى شقاق مبین . فالدين واحد ، وما جاء به القرآن هو ما جاءت به التوراة وهو ما جاء به الإنجيل ، لذلك يقول تعالى ﴿ قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ (المائدة: ٨٦) .

فإذا أقيمت التوراة والإنجيل بالحق ، وبدون تحريف أو تبديل ، فإنها يوافقان القرآن ، ويوافقان كل كتاب أنزله الله من عنده

[فالإيمان بالإنجيل والتوراة يستدعى الإيمان بالقرآن ومحمد عليه الصلاة والسلام ، ولذلك أمر الله رسوله أن يكتفى من دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام بمجرد مطالبتهم بتطبيق ما فى التوراة والإنجيل الذى يدعون الإيمان به] <sup>(١)</sup> .

وعندما هاجر الرسول إلى المدينة [كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار وأدع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم ، وشرط لهم واشترط عليهم ، ومن هذه الشروط : يهود بنى عوف ، أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم] <sup>(٢)</sup> .

وقد وفد إلى رسول الله ﷺ أول وفد من خارج مكة لفهم شئ عن الإسلام ، وكانوا بضعة وثلاثين رجلاً من نصارى الحبشة ، جاءوا مع جعفر بن أبى طالب لدى عودته إلى مكة ، فلما جلسوا إلى رسول الله ﷺ وأطلعوا على صفاته وأحواله وسمعوا ما تلى عليهم من القرآن آمنوا كلهم ... فنزل فى حقهم قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ وإذا يتلى عليهم قالوا ءآمننا به- إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ﴾ (القصص) .

(١) فقه السيرة د . البوطى - ص ١٠٤ .

(٢) السابق ص ١٥٩ .

فأهل الكتاب لما سمعوا القرآن آمنوا به وأقروا بأنهم كانوا من قبله مسلمين وأنه يصدق الكتب التي من قبله .

ويقول الله عن أهل الكتاب المؤمنين حقاً ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ؕ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ (البقرة: ١٢١) فالذين يتلون التوراة والإنجيل حق التلاوة، ولا يجرفونها ولا يبدلون، إنما هم مؤمنون بالقرآن ويخشعون له .

يقول تعالى ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْرُونَ بَيِّاتٍ بِاللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ؕ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ؕ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (آل عمران: ١٩٩) .

ولما هاجر المسلمون إلى الحبشة أرادت قريش أن تعيدهم إليها ، فاختراروا من بينهم من يذهب إلى النجاشي ليطلبوا منه إعادة المسلمين إلى مكة فأرسلت قريش إلى النجاشي [عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص (ولم يكن قد أسلم بعد) بهدايا مختلفة كثيرة إليه وإلى حاشيته وبطارفته رجاء أن يرفض قبول هؤلاء المسلمين في جواره ويسلمهم مرة أخرى إلى أعدائهم . فلما كَلَّمَا النجاشي في ذلك ، رفض النجاشي أن يسلم أحدا من المسلمين إليهما حتى يكلمهم في شأن دينهم الجديد هذا ، فجمع بهم إليه ورسولا قريش عنده ، فقال لهم : ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني ولا في دين أحد من الملل ؟ فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب ، فقال : أيها الملك : كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ونُسئ الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم ، ونهانا عن الفواحش ... فصدقناه وأمانا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعدأ علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ، ورجعنا إليك ، ورجونا أن لا نظلم عندك .

فسأله النجاشي أن يتلوا عليه شيئاً مما جاءهم به الرسول ﷺ من عند الله . فقرأ عليه جعفر صدراً من سورة مريم . فبكى النجاشي حتى أخضلت لحيته ، ثم قال لهم : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة<sup>(١)</sup> .

فالنجاشي من أهل الكتاب ، ولما سمع ما يدعو إليه الدين الإسلامي من أخلاق سامية ومتوافقة مع ما جاء به الإنجيل ، صدق وأمن بوحدة المبعث الذي انبعث عنه القرآن وهو الله .

وهذا يؤكد على أن الأنبياء كلهم إنما جاءوا بدين واحد ، ولم يختلفوا فيما بينهم ، وذلك لأنهم مرسلون من قبل إله واحد هو الله .

### التفريق في الدين

طلب القرآن من الناس أن يؤمنوا بجميع الرسل كما طالبهم أن يؤمنوا بما أنزل عليهم جميعاً ، وجعل الإيمان ببعض دون البعض خروجاً عن دين الله ، وانحرافاً عن هديه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ﴾ (الأنعام: ١٥٩) .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۗ ﴾ (النساء) .

ويذكر القرآن التفريق والاختلاف في الدين عند أهل الكتاب بأنه جهل ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَانِي عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَانِي لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۗ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ ﴾ (البقرة: ١١٣) .

(١) السابق ص ٩٩ .

إن التفريق في الكتاب ناتج عن الضلال في الفكر ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ آخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ (البقرة: ١٧٦) .

والتفريق في الكتاب يؤدي إلى الفرقة وإلى الاختلاف ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ﴾ (يونس: ١٩) لذلك فإن الله أرسل رسوله وأنزل عليه الكتاب ليبين لهم الذي اختلفوا فيه ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ (النحل: ٦٤) .

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَاقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (النمل: ٧٦) .

والله يدعونا أن لا نكون من المختلفين في الكتاب مثل أهل الكتاب ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ (آل عمران: ١٠٥) .

﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٥٦﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا ﴾ (الروم: ٣٢) .

وإذا كان أهل الكتاب آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض ، فإن المسلمين إذا آمنوا بنسخ بعض الآيات وبطلانها ، فإنهم يقتربون من أهل الكتاب في تفريقهم في الدين ويكونون أمثالهم .

فبعض المسلمين يفرقون في الدين ويجعلونه ناسخاً ومنسوخاً ، كما أنهم يقسمون الدين إلى عقيدة وشريعة ، في حين أن الدين هو كل لا يتجزأ ولا يتبعض ، فمن المسلمين من يقول :

[إن بعثه كل رسول تتضمن عقيدة وتشريعاً فأما العقيدة : فعمله (الرسول) بالنسبة لها ليس سوى تأكيد لنفس العقيدة التي بُعث بها الرسل السابقون دون أى اختلاف أو تغيير وأما التشريع ، فإن شريعة كل رسول ناسخة للشريعة السابقة إلا ما أيده التشريع المتأخر ، أو سكت عنه ، وذلك على مذهب من يقول : شريعة من قبلنا شريعة لنا إذا لم يرد ما يخالفها .

ويتضح مما سبق أنه لا توجد أديان سماوية متعددة ، وإنما توجد شرائع سماوية متعددة  
نسخ اللاحق منها السابق] <sup>(١)</sup> .

فالدكتور البوطى هنا يُفرق في الدين ويجعله شريعة وعقيدة ، ويقول بأن العقيدة  
السماوية واحدة ثابتة لا تتغير ، في حين تتغير الشرائع ، ويقول في موضع آخر : [إن الدين  
الحق واحد ، لم يتعدد منذ خُلِق آدم - ﷺ - إلى بعثه نبينا ﷺ ... نعم ، هناك شرائع سماوية  
متعددة وكل شريعة سماوية ناسخة للشريعة التي قبلها ، ولكن ينبغي أن لا نخلط بين  
الدين الذى يطلق أو ما يطلق على العقيدة ، وبين الشريعة التى تطلق على الأحكام  
السلوكية المتعلقة بالعبادات والمعاملات] <sup>(٢)</sup> .

فبعد أن يعترف الدكتور البوطى بأن الدين الحق واحد ، يعود فيقول أن الشريعة  
اللاحقة تنسخ الشريعة السابقة . أليس الدين هو كلُّ واحد جامع لكل ما أمر به الله من  
توحيده وإفراده بالعبودية ، ثم تأسيساً على هذه العقيدة تؤخذ شرائعه ؟

إن تقسيم الدين إلى عقيدة وشريعة ، وتقسيم الشريعة إلى أحكام وعبادات ومعاملات  
... إلخ ، إنما ذلك من وضع البشر وليس من وضع الله .

ويقول الدكتور البوطى في موضع آخر [بعث (الله) موسى - ﷺ - مثلاً ، إلى  
بنى إسرائيل وكان الشأن يقضى بالنسبة لحال بنى إسرائيل إذ ذاك - أن تكون شريعتهم  
شديدة قائمة في مجموعها على أساس العزائم لا الرخص . ولما مرت الأزمنة ، وبعث فيهم  
سيدنا عيسى - ﷺ - كان يحمل إليهم شريعة أسهل وأيسر مما كان قد بعث به موسى من  
قبل ، وانظر في هذا إلى قول الله تعالى على لسان عيسى - ﷺ - وهو يخاطب بنى إسرائيل :  
﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَإِلَّا حِلًّا لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ  
عَلَيْكُمْ ﴾ (آل عمران ٥٠) فقد بين لهم فيما يتعلق بأمر العقيدة ، بأنه مصدق لما جاء في  
التوراة ، ومؤكد له ومجدد للدعوة إليه . أما بالنسبة للتشريع وأحكام الحلال والحرام ، فقد

(١) السابق ص ٣٨ .

(٢) السابق ص ١٠٥ .

كُلف ببعض التغيرات وإيجاد بعض التسهيلات ونسخ بعض ما كانوا يعانون من الشدة في الأحكام] <sup>(١)</sup>.

وهنا نجد أن الدكتور البوطي قسم التوراة إلى عقيدة وشريعة ، وأثبت العقيدة ونسخ الشريعة . في حين أن الآية تقول (ومصدق لما بين يدي من التوراة) ، من التوراة ككل وليس مصداقاً للعقيدة فقط .

كما أن تحليل بعض الذي حُرِّم عليهم لا يعنى إلغاء ما هو موجود من الشريعة كما أن هذا التحليل ليس نسخاً ، وإذا علمنا أن التحريم كان من عند نبي الله إسرائيل نفسه ، إذ يقول تعالى ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (آل عمران: ٩٣) .

فالتحريم لم يكن بأمر من الله ، بل حرمه نبي الله إسرائيل على نفسه وذلك من قبل أن تُنزل التوراة ، أى أن الله لم يُنزل هذا التحريم في كتاب ، وبالتالي فإن الله لم ينسخ أمراً أو حكماً له . والمسيح نفسه يقول في الإنجيل (ما جئت لأنقض الناموس ولكن لأكمله) .

ويقول الدكتور البوطي : [ثم من المفروض أن يكون للتطور الزمنى ولاختلاف الأمم والأقوام أثر في تطور التشريع واختلافه ، بسبب أن أصل فكرة التشريع قائم على أساس ما تقتضيه مصالح العباد في دنياهم وآخرتهم ، هذا إلى أن بعثة كل نبي من الأنبياء السابقين كانت خاصة بأمة معينة ، ولم تكن عامة للناس كلهم ، فكانت الأحكام التشريعية محصورة في إطار ضيق حسبما تقتضيه حال تلك الأمة بخصوصها] <sup>(٢)</sup>.

وقد قلت من قبل أنه ليس هناك اختلاف أو تناقض بين الشرائع ، ولكن كان هناك إتمام وتكميل . كما أن ما تقتضيه مصالح العباد من تشريع لا ينفى ما كان صالحاً من قبل . وكل التشريع الذى شرعه الله لعباده هو صالح لكل زمان ومكان ، لأن المشرع واحد هو الله ، وإلا لو صفنا الله بعدم الحكمة والتخبط أو التردد في الآراء . فمخصوص الرسالة لأمة

(١) السابق ص ٣٧-٣٨ .

(٢) السابق ص ٣٧ .

من الأمم ، لا ينفى ولا يبطل الشريعة المشرعة من قبل الله ، والتي كان يعمل بها الناس . كما أن أجيال الأمم متلاحقة ومستمرة ومتراطة ، فإذا كان في هذه الأجيال شريعة شرعها الله ، فإنه لا ينسخها بشريعة أخرى لاحقة ، ولكن يكمل الشريعة السابقة ويتممها بالشريعة اللاحقة ، وهذا كما قال المسيح (ما جئت لأنقض الناموس ولكن لأكمله) . وكما قال ﷺ (مثل ومثل الأنبياء من قبلي كممثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون ، هلاً وُضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين) .

ويقول الدكتور البوطي في موضع آخر ، بعد أن أورد قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ...) ، ويقول [إنه لا يتصور أن تختلف دعوات الأنبياء الصادقين في شأن العقيدة ، لأن أمور العقيدة من نوع الإخبار ، والإخبار عن شيء لا يمكن أن تختلف ما بين مخبر وآخر إذا فرضنا الصدق في خبر كل منهما ، فمن غير المعقول أن يُبعث أحد الأنبياء ليلفح الناس أن الله ثالث ثلاثة (سبحانه عما يقولون) ثم يُبعث من بعده نبي آخر ليلفحهم بأن الله واحد لا شريك له ، ويكون كل منهما صادقاً فيما بلغ عن الله تعالى .

هذا عن العقيدة ، أما التشريع ... فقد كان يختلف في الكيف والكم ما بين بعثه نبي وآخر ... وسبب ذلك أن التشريع من نوع الإنشاء لا الإخبار ، فلا يرد فيه ما أوردناه على اختلاف العقيدة] <sup>(١)</sup> .

ونقول أنه كما لا يُتصور أن تختلف دعوات الأنبياء في شأن العقيدة ، فإنه لا يُتصور أن تختلف دعواتهم في الشريعة أيضاً ، وإلا كان المشرع الأحمد - سبحانه - متناقضاً في تشريعاته . وإن كان كذلك - سبحانه - فإن ذلك يهدم خاتمية الإسلام للأديان ، فما دام المشرع يتناقض في تشريعاته ، وينسخ كل حين الشريعة السابقة ، فإنه كان من المحتمل أن يأتي زمن يلغى فيه الله الشريعة الإسلامية بشريعة أخرى ، وهكذا ...

أما القول بأن العقيدة من نوع الإخبار ، في حين أن التشريع من نوع الإنشاء ، فإن هذا التقسيم ناشئ من تصورات النفس الإنسانية وأهوائها وضلالها .

(١) المصدر السابق .

وأما القول بأن التشريع كان يختلف في الكيف والكم ، فإننا نقول أنه لم يختلف في الكيف وإلا تناقض المشرع مع نفسه ، وإن كان اختلف في الكم فهذا معناه تميم وإكمال الشريعة السابقة وليس نقضها أو إبطالها .

وفي كتابه (الإسلام دعوة عالمية) يقول فضيلة الدكتور عبد الحلیم محمود : [الدعوة الإسلامية عالمية ، ونسخت لما قبلها من الدعوات ، لأن كل دعوة قبلها جاءت لتعالج ناحية من نواحي حياة الإنسان ، فجاءت الموسوية لعلاج الوثنية وتحويل الناس إلى توحيد الله . وجاءت العيسوية وقد أصبح الناس ما دين ولا شيء يقدرسونه إلا المادة ، فاهتمت ديانة عيسى بالناحية الروحية والأخلاق ، وغرست في نفوس أتباعها مزيداً من التسامح والوداعة والرحمة . ثم جاءت المحمدية وقد استوت البشرية على حال تحتم عليها أن تسير في طريق يؤدي إلى دين متكامل الجوانب يعالج مشكلات الحياة كلها ويرسم لها الحل الساموي السوي الذي لا حل سواه . ولذلك كانت الدعوة جديدة أن تلغى ما سبقها من الدعوات إلغاءً تفصيلياً ، مع الاعتراف بها من ناحية الإجمال . ودليل نسخها لغيرها من الشرائع كان في أنها لم تكتف بعلاج ناحية واحدة أو أكثر في حياة الإنسان ، وإنما عاجلت كل حالات الإنسان] <sup>(١)</sup> .

من النظرات الخاطئة : القول بأن كل شريعة جاءت لتعالج ناحية من النواحي الموجودة في حياة الإنسان ، وإنما الشريعة جاءت لتعالج جميع النواحي الموجودة ، مع زيادة في التشريع للتطور والارتقاء بالجنس البشري ، وكان ختام هذا التطور والارتقاء بالشريعة الإسلامية . فإن كان المقصود بالإلغاء التفصيل هو الشريعة ، والإلغاء الإجمالي هو العقيدة ، فإن الدعوة الإسلامية لم تلغ ما سبقها من الدعوات ، لا إلغاءً تفصيلياً ولا إجمالياً .

لأن [العقيدة في الوضع الإسلامي ، هي الأصل الذي تبنى عليه الشريعة ، والشريعة أثار تستببع العقيدة ، ومن ثم فلا وجود للشريعة في الإسلام إلا بوجود العقيدة ، كما لا اذدهار للشريعة إلا في ظل العقيدة ، ذلك أن الشريعة بدون العقيدة علوٌ لا أساس له .

(١) عن كتاب الإعلام في القرآن د . محمد عبد القادر حاتم ص ١٣٨ .

فالإسلام يُحتم تعانق الشريعة والعقيدة ... على أن تكون العقيدة أصلاً يدفع إلى الشريعة ، والشريعة تلبية لانفعال القلب بالعقيدة] (١) .

وكما يقول د. مصطفى محمود [الدين في حقيقته دين واحد ... وقد نزلت شرائع هذا الدين الواحد على مراحل ... إنها مراحل ... في كل مرحلة يبعث الله نبيها المناسب ، ويُنزل من الشرائع ما يلائم تطور النفس في تلك المرحلة . فإذا ارتقت الإنسانية وتقدمت وتخطت تلك المرحلة بعث الله بالرسول الذي يُكمل التاموس ليواكب التقدم الروحي] (٢) .

وقبل أن تنتقل من هذا العنوان إلى عنوان آخر ، نريد أن نؤكد على عدة نقاط :

١ - إن الله نهى عن التفرق في الدين بواسطة التفريق بين الرسل والكتب ، واعتبر التفريق في الدين بين الرسل وبين الكتب من الكفر ، فقال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴾ (النساء) .

٢ - إن الله طالب المؤمنين بعدم التفريق بين الرسل وبين الكتب فقال : ﴿ ءَأَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ (البقرة: ٢٨٥) .

٣ - الإيمان بالرسل ليس إيماناً بأشخاصهم ، ولكنه إيمان بشرائعهم .

٤ - الإيمان بالكتب هو إيمان بكتاب واحد كان الله ينزله منذ أن بدأ يُشرع لخلقه ، وكان يأخذ في كل مرحلة من مراحل التشريع إسماً مثل الزبور والتوراة والإنجيل ، إلى أن تم تنزيل الكتاب كله على الرسول فتمت به الشريعة واكتمل به الدين .

٥ - عدم إيمان أهل الديانات السابقة بالديانة اللاحقة هو من الكفر وإيمان أهل الديانة اللاحقة بما يحتويه كتابهم من شرائع الديانات السابقة هو من الإيمان بالله وكتبه ورسوله .

(١) الإسلام عقيدة وشريعة . د. محمود شلتوت ص ١١ .

(٢) القرآن د. مصطفى محمود ص ١٤٦ - ٤٧ .

٦ - تقسيم الدين إلى عقيدة وشريعة ، والإدعاء بواحدية العقيدة وثبوتها والإدعاء باختلاف الشرائع ونقضها ونسخها وإبطالها ، قول خاطيء لا يتفق مع تعاليم الكتاب .

### تدرج البناء التشريعي

البناء التشريعي قائم على التدرج والإتقاء - سواء في حياة الأمة الواحدة على الخصوص ، أو في حياة الإنسانية كلها على العموم .

ففي حياة الأمة الإسلامية ، لم تنزل الشرائع والأحكام جملة واحدة على الأمة ، وطالبها الله بتنفيذها ، بل نزل التشريع متدرجاً آخذاً بيد الأمة من تشريع إلى آخر ومن حكم إلى آخر .

وكذلك في حياة الإنسانية عموماً ، لم ينزل الله شريعته التامة الكاملة التي ارتضاها لعباده جملة واحدة ، بل تدرج - سبحانه - مع الأمم آخذاً بيدها من تشريع إلى آخر ، حتى تم الدين واكتمل بالرسالة الخاتمة ، رسالة محمد خاتم النبيين والمرسلين .

وإذا انظرنا إلى حركة البناء التشريعي منذ أن خلق الله الإنسان ، نجد أن الله قد تدرج بالتشريع منذ آدم وحتى خاتم النبيين ﷺ وكان الله - سبحانه - يراعى في التشريع مقاصد الشريعة حسب أهميتها في كل مرحلة ، بما يحقق بقاء النوع والحفاظ عليه ، فكان أول تشريع شرع لآدم - عليه السلام - هو توحيد الله وإفراده بالعبودية وعدم الشرك به . فلما أنجب آدم أولاداً ، شرع الله لهم الإحسان إلى الوالدين ، فقال تعالى : ﴿ وَقَصَىٰ رَبُّكَ أَلًّا تَعْبُدُونَ إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [الإسراء - ٢٣] . فلما كثر النسل ، وبدأ الإنسان يقتل أخاه الإنسان ، شرع الله لهم تحريم قتل النفس .

وفي شريعة آدم - عليه السلام - لم يُحرم الله الزواج من الأخوات ، وسكت الله عن هذا الأمر لضرورة ، وهي تكاثر النسل وانتشارهم .

وبعد الطوفان ، تقول التوراة [وبارك الله نوحا وبنيه وقال لهم : اثمروا واكثروا واملأوا الأرض ولتكن خشيتكم ورهبتكم عن كل حيوانات الأرض وكل طيور السماء مع كل ما يدب على الأرض وكل أسماك البحر قد دفعت إلى أيديكم . كل دابة حية تكون لكم طعاماً كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع غير أن لحماً بحياته دمه لا تأكلوه وأطلب أنادمكم لأنفسكم فقط . من يد كل حيوان أطلبه . ومن يد الإنسان أطلب نفس

الإنسان من يد الإنسان أخيه سافك دم الإنسان يسفك دمه] [الإصحاح التاسع]. فالله - سبحانه - أمر نوح وبنيه بأن يكثرُوا ويتشروا في الأرض ، ولأنه يريد بقاء النوع الإنساني ، وكذلك بقاء باقى الأنواع من الحيوانات والطيور والنباتات ، فإن الله قد أمرهم بالخشية والرهبة على كل هذه الأنواع ، فلا يسرف الإنسان في قتل هذه الأنواع حتى لا تنقرض ، وكذلك فإن الله قد أحل لهم جميع الأنواع كالعشب الأخضر ، وذلك حتى يتم التوزيع الإستهلاكي على جميع الأنواع بما يضمن بقاء النوع وعدم إنقراضه ، هذا من ناحية التحليل .

أما من ناحية التحريم ، فإن الله قد أمرهم بذبح البهيمة والتخلص من دمها ، وهذا هو تركيتها . والتخلص من دم البهيمة لا يضر الإنسان في شيء بل أنه ينفعه . كما أمرهم بعدم قتل النفس ، وهو أمر شرعى في كل دين وكل أمة .

أما تحريم زواج الأخوات ، فإنه يقال أن نوحا كان أول من حرّم زواج الأخوات ، وذلك بعد الطوفان وبعد انتشار النسل .

أما تحريم الجمع بين الأختين ، فكانت في شريعة موسى ، ولم يكن الجمع بين الأختين محرماً في شريعة يعقوب . فلما جاء عيسى - ﷺ - صدق بشريعة موسى وأقرها ، وقال : ( ما جنت لأنقض الناموس ولكن لأكمله ) .

فلما جاء الإسلام بالدين الخاتم ، وأتم الله شرائعه ، ضمّن كتابه - القرآن الكريم - ما شرعه من الشرائع السابقة ، وأتم الدين وأكمله ، وقال : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (آل عمران: ٣) .

وهكذا فإن التشريع قائم على التدرج ، وقائم على الإكمال ، وليس على النقض . فخاتمة الرسالة المحمدية هي إكمال للشرائع السابقة وإتمام للدين وليس لنسخ الشرائع السابقة ونقضها .

### خطورة دعوى النسخ

الإسلام دين عالمي ، هو دين لكل الناس ، وهو دين لكل زمان ومكان والخطاب في القرآن موجه لعموم الناس في كل زمان وكان . وقد يظن البعض أن نداء الله للمؤمنين بصيغة (يا أيها الذين آمنوا) هو نداء للمؤمنين المعاصرين للرسول ﷺ فقط ، أو أنه نداء

للذين آمنوا من المسلمين فقط ، بل هو نداء لجميع الذين آمنوا بالله وبوحدانيته في كل زمان ومكان ، فالخطاب القرآني ، خطاب عالمي ، لا يختص بجنس دون جنس ، ولا يختص بعصر دون عصر ، ولا يختص بأهل الدين دون غيرهم ، إلا إذا خصص الخطاب بالنداء على قوم معينين .

يقول تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سبا: ٢٨) .

﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُخِيءُ وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٨) .  
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) .

فالإسلام هو دين جميع الشعوب والأمم والأجيال . هو دين الأمة التي بُعث فيها محمد ، وهو دين الأمم التي بُعث فيها الأنبياء والمرسلون السابقون ، وهو دين الأمم الناشئة .

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (آل عمران: ١٩) .

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (آل عمران: ٨٥) .

وإذا كانت الرسائل السابقة على الإسلام ، هي رسائل قومية ، تخص كل قوم ، فهذه الخصوصية ناشئة من عدم تمام الدين واكتماله في الشرائع السابقة ، ولو كان هناك دين تام كامل قبل الإسلام ، لكان هذا الدين تاهل ليكون دعوة عالمية ، نظراً لاكتماله واستيفائه لجميع الشرائع التي تصلح للإنسانية .

وحيث أن هذا التاهل لم يكن إلا للقرآن الكريم ، لذا فقد أوجب الله له أن يكون ديناً عالمياً .

وحيث أن الدين قد كمل وتم بالقرآن ، فقد استوجب أن يكون خاتم الكتب ، مُنزَلاً على خاتم الرسل .

وقد تبين لنا - فيما سبق - أن التشريع قائم على التدرج ، والشرائع السابقة هي شرائع باقية عاملة غير عاطلة ، إذ أن تعطيلها أو نقضها هو تعطيل ونقض للدين ، لأن الشرائع السابقة - على صحتها - هي شرائع إسلامية ، فإذا كانت كذلك ، فلا يصح نقضها .

والقرآن الكريم هو الوعاء الحاوي لهذه الشرائع السابقة ، وهو المهيمن عليها والشاهد بصحتها ، أما من ناحية أنه الحاوي للشرائع السابقة فتصديقاً لقوله ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (الشورى : ١٣) فجميع ما شرعه الله للأنبياء والمرسلين السابقين محفوظ في القرآن .

وأما من ناحية أن القرآن هو الكتاب المصدق والمهيمن على كتب الرسالات السابقة فتصديقاً لقوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ (المائدة : ٤٨) .

فكلمة (الكتاب) الأولى المقصود بها القرآن الكريم ، لأن الله يقول (وأنزلنا إليك الكتاب) فهو الكتاب المعهود لنا ، وهو القرآن . وكلمة (الكتاب) الثانية المقصود بها الكتب السهاوية السابقة ، مثل التوراة والإنجيل والزيور .

وقوله تعالى (مصدقاً لما بين يديه من الكتاب) تعنى أن القرآن محتوى بين دفتيه الكتب السابقة ، فإذا احتواها بين يديه ، فمعنى ذلك أنه مقرها ومصداقها .

وإذا رجعنا إلى الآيات التي تسبق الآية (المائدة : ٤٨) نجد أن هذه الآيات تتحدث عن التوراة والإنجيل والحكم بهما بين أهل الكتاب ، ثم أجمع الله هذه الكتب في القرآن الكريم في الآية (المائدة : ٤٨) .

فإذا كان الكتاب - القرآن الكريم - محتوى على الشرائع وعلى الكتب السابقة ، وأصبحت نكتسب الصفة القرآنية ، فإن نقض الشرائع السابقة لا يكون نقضاً لذاتها في كتبها السابقة ، بل هو نقض كامل لشريعة الإسلام ذاتها في كتابها : القرآن الكريم .

أى أن دعوى النسخ ، لا تؤدي إلى نسخ الشرائع السابقة ذاتها فقط ، بل إنها تؤدي إلى نسخ شريعة الإسلام نفسها ، وهذه هي خطورة دعوى النسخ على شريعة الإسلام والشرائع السابقة . لأننا وجدنا أن البناء التشريعي قائم على التدرج ، وأن هذا التدرج يقصد به التدرج في البناء ، وأن كل شريعة لاحقة هي نفس الشريعة السابقة مع الإضافة التي يريد الله أن يضيفها من أجل تطور وإرتقاء البناء التشريعي . وأن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده منذ بدء الخليقة ، فكانت كل الشرائع وكل الكتب إسلامية . أما القول بأن هذه يهودية وتلك نصرانية ، فإن هذا من تحريف الدين والتفرق فيه .

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (آل عمران : ٦٧) .

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (آل عمران : ١٩) .

فدعوى النسخ تؤدي إلى نقض وإبطال الشرائع السابقة ، كما أنها تؤدي إلى نقض وإبطال شريعة الإسلام نفسها ، وهو الدين الذي ارتضاه الله لعباده منذ بدء الخليقة وحتى قيام الساعة .

وبالتالى فإن دعوى النسخ تؤدي إلى هدم البناء التشريعي كله الذى أقامه الله منذ بدء الخليقة وحتى خاتم النبيين والمرسلين .

كما أن دعوى النسخ هي طعن في علم الله وحكمته وإحاطته ، فالإله الذى ينسخ شريعته كل حين هو إله غير عليم وغير حكيم وغير محيط بعباده .

كذلك فإن دعوى النسخ تؤدي إلى عدم الترابط والتواصل بين الشرائع وبعضها ، مما يؤدي إلى عدم إعراف كل أمة بالأخرى ، بالإضافة إلى ما تجرّه هذه الدعوى من انقطاع التواصل والترابط بين الأمم عن طريق المعاهدات والمواثيق .

دعوى النسخ تؤدي إلى هدم خاتمية الرسالة ، فما دامت الرسالة الأخيرة نسخت الرسائل التى قبلها ، فما المانع من أن تُنسخ هذه الرسالة الأخيرة برسالة أخرى .

وإذا كانت الرسالة الخاتمة نسخت ما بين يديها من شريعة ، فلا بد من انتظار رسالة أخرى تنزل بشريعة جديدة ... وهكذا بلا انقطاع فلا يكون هناك خاتمية لرسالة .

ودعوى النسخ تؤدي إلى هدم (عالمية الإسلامية) . إذ أن عالمية الإسلام هي جمعه للشرائع السابقة .

عالمية الإسلام هي صلاحية لكل الأمم .

عالمية الإسلام ، لأنه هو الدين الذي بشريعته يتم التواصل والترابط بين الأمم بأرشد النظم وأهدى القوانين .

وما دام القرآن يحتوي على الشرائع السابقة ، وهذه الشرائع صالحة لكل زمان ومكان ، صالحة في الماضي والحاضر والمستقبل ، فإن نسخها يؤدي إلى هدم عالميته وشموليته والخلصة

دعوى النسخ هدم لدين الله ونقض لشرائعه .